الأدب في العصرين: الأيّوبيّ والمملوكيّ.

مقدمة:

-ما دور الأدب تجاه الأحداث التي أصابت أقطار العالم الإسلاميّ بالتفكّك السياسيّ والعسكريّ: من جرّاء الغزوين: الفرنجيّ والمغوليّ لمشرق العالم العربيّ؟

كان للأدب دور كبير في تصوير تلك الأحداث، واستنهاض همم المسلمين، وحثهم على الجهاد، وتحرير أراضي المسلمين.

أولًا: شعر الجهاد:

١- صدى الغزو الصليبيّ في الشعر

١) متى تعرضت ديار الإسلام في المشرق العربيّ للغزو الصليبيّ؟

امتدّ من أواخر القرن الخامس الهجري إلى أواخر القرن السابع الهجريّ.

٢) ما هي الظروف التي تهيأت لدول أوروبا حتّى تغزو المشرق العربيّ وتحتلّ بعض مدنه تحت مسمّى "الحروب الصليبية."

النزاعات الداخلية بين أمراء الدول الإسلاميّة وقادتها فضعفت قوتهم العسكريّة.

٣) قيّض الله- سبحانه تعالى - للأمّة بعض القادة الذين عملوا على توحيد صفوف المسلمين، في بلاد الشام ومصر؛ لمواجهة الغزو الصليبيّ، اذكر ثلاثة منهم.

عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيّوبيّ.

٤)وضّح دور الشّعر تجاه الحروب الصليبيّة على ديار الإسلام.

-واكب الشعر هذه الحروب وصوّر أحداثها تصويرًا دقيقًا.

-وأشاد بفتوحاتها، ومدح أبطالها وقادتها.

-وصارت هذه الحروب هي الصبغة العامة لموضوعاته، فلا يكاد يخلو ديوان شاعر في هذه الحقبة من قصائد عن البطولات الرائعة في مقاومة الصليبيّين.

-وصف الشّعراء النكبات التي مُنِي بها المسلمون، ولا سيّما الجرائم الوحشيّة التي اقترفها الصليبيّون في القدس وغيرها من المدن الإسلاميّة.

٥) وضّح مضامين شعر الجهاد في العصرين: الأيّوبيّ والمملوكيّ:

أ - تصوير سقوط بيت المقدس بأيدي الصليبيّن

من القصائد المبكرة التي صوّرت هذا الحدث قصيدة الشاعر محمد بن أحمد الأبيوَرْديّ، التي قالها بعد احتلال الصليبيين بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ، ووصف فيها آثار هذا الاحتلال، وحثّ على إذكاء المشاعر واستنهاض الهمم، وحضّ على قتال الغزاة، ومنها:

مَزَجْنا دِماءً بِالدُّموعِ السَّواجِمِ — قَلَمْ يَبْقَ مِنَّا عَرْصَةٌ لِلْمَراحم

وَشَرُّ سِلاحِ المَرْءِ دَمْعٌ يُفيضُهُ — إِذَا الحَرْبُ شُبَّتْ نارُها بِالصَّوارِمِ

وَكَيْفَ تَنَامُ العَيْنُ مِلْءَ جُفونِها — على هَفَواتٍ أَيْقَظَتْ كلّ نائِمِ

فَإِيهَا بَنِي الْإِسْلامِ إِنَّ وَرَاءَكُمْ — وَقَائِعَ يُلْحِقْنَ الذُّرَى بِالْمَناسِمِ

ومن ذلك قول ابن المجاور يبكي ما حلّ بالمسجد الأقصى، ويربط بين الأماكن المقدّسة في أحزانها:

أَعَيْنَيَّ لَا تَرْقَيْ مِنَ العَبَراتِ — صِلي في البُكا الآصالَ بِالبُكُراتِ

عَلَى المَسْجِدِ الأَقْصِى الَّذِيّ جَلّ قَدْرُهُ — على موطن الإخبات والصلوات

لتَبكِ على القُدْسِ البِلادُ بِأَسرِها — وَتُعْلِنُ بِالأَحْزانِ والتُّرحاتِ

لتَبْكِ عَلَيْها مَكَّةٌ فَهْيَ أُخْتُها — وَتَشْكو الَّذِي لاقَتْ إِلَى عَرَفَاتِ

ب- الدعوة إلى تحرير المدن ولا سيّما بيت المقدس

أخذ الشّعراء على عاتقهم عبء التحريض على مواجهة الصليبيّين، واستثارة الهمم والعزائم. فهذا ابن القيسراني يدعو القائد نور الدين زنكي إلى إنقاذ بيت المقدس في قصيدة يعارض فيها أبا تمّام في قصيدته المشهورة " فتح عمورية":

هذي العَزائِمُ لا ما تَدَّعِي القُضُبُ — وَذِي المَكارِمُ، لا ما قالَتِ الكُتُبُ

وَهذِهِ الهِمَمُ اللّاتِي مَتى خَطَبَتْ — تَعَثَّرَتْ خَلْفَهَا الأَشْعَارُ وَالخُطَبُ

صافَحْتَ يا بْنَ عِمادِ الدّينِ ذَرْوَتَها — بِراحَةٍ لِلْمَساعِي دونَها تَعَبُ

فَانْهَضْ إِلى المَسْجِدِ الأَقْصى بِذِي لَجَبٍ — يوليكَ أَقْصى المُنى، فَالْقُدْسُ مُرْتَقِبُ

ج- تسجيل الانتصارات، والتهنئة بالفتوحات ولا سيّما فتح بيت المقدس.

لم يكن الشعر بمعزل عن أحداث هذه المرحلة وما فيها من معارك فاصلة، وانتصارات خالدة، بل إنّه تابع تفصيلات هذه الأحداث متابعة دقيقة في نقاط التماس مع قوى الصليبيّين الباغية.

وقال ابن السّاعاتي في فتح طبرية سنة ٥٨٣هـ وقد نوّه بهذا الفتح المبين، وأشاد بالبطل المظفّر صلاح الدين صاحب النّصر الأغرّ، وبيّن مكانة هذا الفتح العظيم وارتباطه بمكة والقدس:

جَلَتْ عَزَماتُكَ الفَتْحَ المُبينا فَقَدْ قَرَّتْ عُيُونُ المُؤْمِنِينا

رَدَدْتَ أَخِيْذَةَ الإِسْلامِ لَمّا غَدا صَرْفُ القَضاءِ بِهَا ضَمِينا

غَدَتْ فِي وَجْنَةِ الأَيَّام خالاً وَفِي جِيْدِ العُلاَ عِقْدًا ثمينًا

فَيَا للهِ كَمْ سَرَّتْ قُلُوبًا وَيَا للهِ كَمْ أَبْكَتْ عُيونا

وَمَا طَبَرِيَّةٌ إِلَّا هَدِيٌّ تَرَفَّعُ عَنْ أَكُفَّ اللَّامِسينا

٦)اذكر ثلاثة من الشعراء الذين انعكست أصداء الغزو الصليبيّ في أشعارهم.

محمد بن أحمد الأَبيوَرْديّ، ابن القيسراني، ابن السّاعاتي.

٧) مَن هو الشاعر الذي عارض أبا تمّام في قصيدته في فتح عمورية؟

ابن القيسراني.

٨)كان لمعركة حطين وتحرير بيت المقدس صدى كبير في الشعر العربيّ آنذاك، وضّح ذلك مستشهداً بنصوص شعريّة مناسبة.

في السنة نفسها التي فُتحت فيها طبرية جاءت معركة حطين الخالدة، الموقعة الفاصلة في التاريخ الإسلاميّ التي انتصر فيها المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيّوبيّ على الصليبيّين، وتمكّنوا من تحرير بيت المقدس ثمّ تحرير معظم ما كان محتلاً من ديار الإسلام في بلاد الشام، وقد ترك هذا النّصر أصداء طيبة في نفوس المسلمين الذين قرّت عيونهم باسترداد بين المقدس، بعد أنْ طال العهد على احتلاله، يقول الرشيد النابلسيّ:

هَذَا الَّذِي كَانَتِ الآمالُ تَنْتَظِرُ فَلْيوفِ للهِ أَقْـوامٌ بِمَا نَذَروا

يَا بَهْجَةَ الْقُدسِ أَنْ أَضحى بِهِ عَلَم ال إِسْلَامِ مِنْ بَعْدِ طَيٍّ وَهُوَ مُنْتَشِرُ

اللّهُ أَكْبَرُ صَوْتٌ تَقْشَعِرُّ لَهُ شُمَّ الذُّرَى وَتَكَادُ الأَرْضُ تَنْفَطِرُ

مَا اخْضَرَّ هَذَا الطِّرازُ السَّاحِلِيُّ ثَرًى إِلَّا لِتَعْلو بِهِ أَعْلامُكَ الصُّفُرُ

٩) علّل. تنافس الشّعراء في نظم القصائد فرحًا بالنّصر، وابتهاجًا بخذلان الكفر في مدينة عكّا.

حُرّرت مدينة عكا على يد الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون بعد أن ظلّت محتلّة أكثر من مئة عام بعد معركة حطين، وهُزم آخر جيش للصليبيين سنة ٦٩٠هـ وأخرجوا من معقلهم الأخير.

وفي ذلك قال شهاب الدين محمود الحلبي:

هذا الذي كَانَتِ الْآمَالُ لَوْ طَلَبَتْ رُؤْيَاهُ فِي النَّوْمِ لَاسْتَحْيَتْ مِنَ الطَّلَبِ

أُمَّ الْحُرُوبِ فَكَمْ قَدْ أَنْشَأَتْ فِتَنًا شَابَ الْوَلِيدُ بِهَا هَوْلًا وَلَمْ تَشُبِ

يَا يَوْمَ عَكَّا لَقَدْ أَنْسَيْتَ مَا سَبَقَتْ بِهِ الْفُتُوحُ وَمَا قَدْ خُطَّ فِي الْكُتُبِ

فَقَرَّ عَيْنًا لِهَذَا الْفَتْحِ وَابْتَهَجَتْ بِشْرِهِ الْكَعْبَةُ الْغَرَّاءُ فِي الْحُجُبِ

١٠) وضّح المقصود بالمعارضات الشعريّة.

هي قصائد نسجها قائلوها على نمط قصائد سابقة مشهورة، تشترك معها في الوزن والقافية، وموضوعها العام ،وحرف الرويّ ،وحركته.

JO|ACADEMY

٢-صدى الغزو المغوليّ في الشعر

تمهيد: غزا المغول العالم الإسلاميّ قبل انتهاء الحروب الصليبيّة، فقضوا على الخلافة العبّاسيّة، ودمّروا عاصمتها بغداد سنة ٦٥٦هـ، وعاثوا في الأرض قتلاً لأهلها ودماراً لديارها وحرقاً لمكتباتها.

١) وضّح كيف تفاعل الشّعراء مع الغزو المغوليّ.

تفاعل الشّعراء مع أحداث هذا الغزو بتصويرها والإشادة ببطولات قادتها من المسلمين، ورثاء شهدائها، وتبيان آثارها في ديار المسلمين.

٢) ما هي أبرز مضامين الشّعر في الغزو المغوليّ؟

أ - تصوير سقوط المدن:

سقط كثير من المدن الإسلاميّة في يد الغزو المغوليّ من أهمها مدينة بغداد، فكان سقوطها حدثًا جللًا له وقع مؤلم في نفوس المسلمين جميعهم؛ فنظم شعراؤهم مراثي تشيع الأسى في النفوس وتثير شجونها، ومن هذه المراثي قول تقي الدين بن أبي اليُسر:

لسائلِ الدَّمْعِ عَنْ بَغْدَادَ إِخْبَارُ — فَمَا وُقُوفُكَ والأَحْبَابُ قَدْ ساروا

يا زائِرِينَ إلى الزَّوْراءِ لا تَفِدوا — فَما بِذاكَ الحِمى وَالدّارِ دَيَّارُ

تاجُ الخِلافَةِ وَالرَّبْعُ الَّذِي شَرُفَتْ — بِهِ المَعالِمُ قد عَفَّاهُ إِقْفَارُ

أَضْحِى لِعَصْفِ البِلَى فِي رَبْعِهِ أَثَرٌ — وَلِلدُّموعِ عَلَى الآثارِ آثارُ

إِلَيْكَ يَا رَبَّنَا الشَّكْوى فَأَنْتَ تَرِى — ما حَلَّ بِالدِّينِ وَالباغِونَ فُجَّارُ

ثُمّ سقطت مدينة دمشق على يد القائد المغوليّ غازان سنة ٦٩٩هـ. وبيَّن الشاعر علي الأوتاريّ ما حلّ بهذه المدينة من قتل النفوس، ونهب الأموال، واسترقاق الأولاد، وسبي النساء وقتلهن، وتخريب البلاد؛ فقال:

أَحْسَنَ اللّهُ يَا دِمَشْقُ عَزاكِ — في مَغانيكِ يا عِمادَ البِلادِ

وَبِأَنْسٍ بـ(قاسيونَ) وَناسٍ — أَصْبَحوا مَغْنَمًا لِأَهْلِ الفَسادِ

طَرَّقَتْهُمْ حَوادِثُ الدّهرِ بِالقَت — ـلِ وَنَهْبِ الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ

ب-تسجيل الانتصارات:

كانت معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ بقيادة السلطان قطز بداية تحرير البلاد الإسلاميّة من المغول، ودخل الملك المظفر قطز دمشق في موكب عظيم. وكان لهذا الحدث العظيم تأثيره العميق في نفوس المسلمين جميعًا، وكان أشدّ فرحًا وأعظم تأثيراً في نفوس الشّعراء منهم، فتغنّوا بهذا النّصر المؤزر، فقال أحدهم مصوّرًا مصير المغول، ومشيدًا بالسلطان المظفر قطز:

هَلَّكَ الكُفْرُ في الشَّآمِ جَميعًا وَاسْتَجَدَّ الإسْلامُ بَعْدَ دُحوضِه

بِالمَلِيكِ المُظَفَّرِ المَلِكِ الأَزْ وَعِ سَيْفِ الإسْلامِ عِنْدَ نُهوضِه

مَلِكٌ جَاءَنَا بِعَزْمٍ وَحَزْمٍ فاعْتَزَّزْنا بِسُمْرِهِ وَبِبِيضِهْ

أَوْجَبَ اللّهُ شُكْرَ ذَاكَ عَلَيْنَا دائِمًا مِثْلَ واجِباتِ فُروضِهْ

وقال شرف الدين الأنصاريّ من قصيدة يمدح فيها الملك المنصور الثاني الأيّوبيّ صاحب حماة مع جنده إلى جانب المظفر قطز في معركة عين جالوت:

رُغْتَ العِدِى فَضَمِنْتَ شَلَّ عُروشها وَلَقِيتَها فَأَخَذْت قَلَّ جُيُوشِها

دارَتْ رَحِى الحَرْبِ الزُّبُونِ عَلَيْهِمُ فَغَدَتْ رُؤُوسُهُمُ حُطامَ جَرِيشها

وَطَوَيْتَ عَنْ مِصْرٍ فَسِيحَ مَراحِل ما بَيْنَ بَرْكَتِهَا وَبَيْنَ عَرِيشِها

حَتّى حَفِظْتَ عَلَى العِبادِ بِلادَها مِنْ زُومِها الأَقْصى إلى أُخْبوشِها

٣) اذكر الخصائص الفنيّة لشعر الجهاد في العصرين: الأيّوبيّ والمملوكيّ.

١-يتصف بالواقعيّة من خلال وصف أحداث المعارك وصفًا مباشرًا، مثل وصف شرف الدين الأنصاريّ معركة عين جالوت.

٢-يكثر من استخدام الفنون البديعيّة كالجناس (وَلِلدُّموعِ عَلَى الآثارِ آثارٌ)، والطباق (فَيَا للهِ كَمْ سَرَّتْ قُلُوبًا وَيَا للهِ كَمْ أَبْكَتْ عُيونا).

٣-يتميّز بحرارة العاطفة وتدفّق المشاعر، ولا سيّما عند الحديث عن سقوط المدن وتصوير المآسي والفرح بالانتصارات.

✓ أسئلة الكتاب:

١ - اذكر ثلاثة من الشّعراء انعكست أصداء غزو الفرنجة في أشعارهم.

الأَبِيوَرْدِيّ، ابن القيسرانيّ، ابن السّاعاتيّ، الرشيد النابلسيّ، ابن المجاور، شهاب الدين محمود الحلبيّ.

٢ - كان لمعركة (حطين) وتحرير بيت المقدس صدى كبير في الشعر العربيّ آنذاك، وضّح ذلك مستشهدًا بنصوص شعرية مناسبة. (سبق الإجابة عنه)

٣ -استنتج المضمون الذي يمثله كلّ مما يأتي:

أ- قال العماد الأصفهاني:

وَلِلنَّاسِ بِالمَلِكِ النَّاصِرِ الصَّلاحِ صَلاحٌ وَنَصْرٌ وَخَيْرُ

نُهُوضًا إِلَى القُدْسِ يَشْفي الغَلَيْلَ بِفتْحِ الْفُتوحِ وَماذَا عَسيرُ

الدعوة إلى تحرير المدن ولا سيّما بيت المقدس

ب- قال ابن منير الطرابلسي:

فَتْحٌ أَعادَ عَلَى الإِسْلامِ بَهْجَتَهُ فَاقْتَرَّ مَبْسِمُهُ وَاهْتَزَّ عِطْفَاهُ

تسجيل الانتصارات، والتهنئة بالفتوحات ولا سيّما فتح بيت المقدس.

٤ - كان لمعركة (عين جالوت) صدى كبير في الشعر العربيّ زمن الغزو المغوليّ، وضحّ ذلك مستشهدًا بنصوص شعريّة مناسبة.

كانت معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ بقيادة السلطان قطز بداية تحرير البلاد الإسلاميّة من المغول، ودخل الملك المظفر قطز دمشق في موكب عظيم. وكان لهذا الحدث العظيم تأثيره العميق في نفوس المسلمين جميعًا، وكان أشد فرحًا وأعظم تأثيراً في نفوس الشّعراء منهم، فتغنوا بهذا النّصر المؤزر، فقال أحدهم مصوّرًا مصير المغول، ومشيدًا بالسلطان المظفر قطز:

هَلَكَ الكُفْرُ في الشَّآمِ جَميعًا وَاسْتَجَدَّ الإِسْلامُ بَعْدَ دُحوضِهْ

٥ - اقرأ الأبيات الآتية لبهاء الدين البهائيّ، ثمّ أجب عن الأسئلة التي تليها:

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ البُروجِ وَحُسنِها حَقَّتْ بِهِنَّ طَوارِقُ الْحَدَثَانِ

لَهْفِي عَلَى وادي دِمَشْقَ وَلُطْفِهِ وَتَدُّلِ الغِزْلانِ بِالثيْرَانِ

وَشَكَا الحَريقَ فُؤَادُها لَمَّا رَأَتْ نورَ المنازِلِ أُبْدِلَتْ بدُخانِ

أ - بيّن المضمون الذي تناولته الأبيات السابقة.

تصوير سقوط المدن، ومنها مدينة دمشق على يد القائد المغوليّ غازان سنة ٦٩٩هـ، فحلّ بهذه المدينة الدّمار وقتل النفوس، ونهب الأموال، وحرق المنازل.

ب- من الخصائص الفنية لشعر الجهاد في العصرين: الأيّوبيّ والمملوكيّ حرارة العاطفة، وضّح ذلك من خلال الأبيات السابقة.

تبدو في الأبيات حرارة العاطفة جليّة، حيث كرّر الشّاعر كلمة (لهفي)، إضافة إلى تعبيرات الشكوى والموازنة بين حال دمشق قبل سقوطها وبعده، وهذا ممّا لا تصنّع فيه، ولا مجال إلّا للجديّة وبثّ الشكوى والتفجّع.

٦ -بين دور الأدب في تسجيل الأحداث ومواكبتها في العصرين: الأيّوبيّ والمملوكيّ.

عايش الشّعر أحداث العصرين الأيّوبيّ والمملوكيّ، وتفاعل معها بتصويرها، والإشادة ببطولات قادتها من المسلمين، وتبيان آثارها، ووصف النكبات التي مُني بها المسلمون، وأهمّ المضامين:

-تصوير سقوط بيت المقدس بأيدي الصليبيّن.

-الدعوة إلى تحرير المدن ولا سيّما بيت المقدس.

-تسجيل الانتصارات، والتهنئة بالفتوحات ولا سيّما فتح بيت المقدس.

٧ -وازن بين رثاء المدن في العصر الأندلسيّ وفي العصرين: الأيّوبيّ والمملوكيّ.

	في العصر الأيوبي والمملوكي	في العصر الأندلسي
1	صدى الغزو الصليبيّ والمغوليّ في الشعر.	من مظاهر شعر رثاء المدن والممالك في هذا العصر.
2	تصوير سقوط بيت المقدس بأيدي الصليبيّين.	تصوير ما حلّ بالمدن من خراب ودمار، وما نزل بأهلها من كرب وضيق.
3	الدعوة إلى تحرير المدن ولا سيّما بيت المقدس.	الموازنة بين ماضي المدن وحاضرها.
4	تسجيل الانتصارات والتهنئة بالفتوحات ولا سيّما فتح بيت المقدس.	الاستنجاد بالمسلمين واستنهاض هممهم ودعوتهم إلى نصرة إخوانهم.